

## مجازر الاحتلال الاستدمار الفرنسي بمدينة قسنطينة عام 1837

د/محمد قويسم

جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة-

الملخص بالعربية :

مارس النظام الاستعماري الاحتلالي في الجزائر أعمال القتل والدمار، وطبق الجيش الفرنسي سياسة الإبادة الجماعية منذ عام 1830، وفي قسنطينة خلال عامي 1836-1837، حيث قتل الآلاف بقذائف المدافع خلال عملية احتلال المدينة يوم 13 أكتوبر 1837، و بعدها، وهذه الدراسة تهدف إلى شرح التناقض الكبير بين أفكار الثورة الفرنسية 1879 (المساواة، الحرية، الإخوة) وهذه الإبادة في مدينة قسنطينة سنة 1837 التي تعتبر جريمة حرب ضد الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: إبادة، استدمار، قسنطينة، فرنسا، الجزائر.

**Summery :**

Colonial regime it means exactly many words or works ,the first killing and destruction, or extermination which applicated by French army in Algeria since 1830 and in Constantine since 1836-1837, That thousands killed by canons bombs during occupation before 13 october 1837 and after.

My research paper aims in order to explain a big contradiction between ideas of French revolution 1789 (equality, freedom ,fraternity) and this examination in Constantine 1837 which considers as a crime of war against humanity.

**Keywords,** extermination, Colonial regime, Constantine, France.

مقدمة:

ارتكب الاستدمار الفرنسي منذ احتلاله لمدينة الجزائر يوم 05 جويلية 1830 يوليو تموز مجازر شنيعة في كل مكان وصل إليه من أرض الجزائر، ومنها مجازر احتلال مدينة قسنطينة 1837، واستمر في ارتكاب المجازر حتى هزيمته 05 يوم جويلية يوليو تموز 1962، حيث استشهد أكثر من 08 مليون بالسلاح وايدت أجيال كاملة ب

الأمراض والجوع والحرق، فسكان الجزائر سنة 1830 حوالي 10 مليون نسمة بعد قرن وثلث القرن 1962 حوالي 11 مليون نسمة؟!.

والإشكالية المطروحة هنا : ماهي المجازر المرتكبة في حق المدنيين العزل أثناء اقتحام المدينة في شهر أكتوبر 1837؟ وبعد شهر أكتوبر 1837؟.

### 1- الحملة الثانية الفرنسية واحتلال مدينة قسنطينة:

بعد صمود القوات الجزائرية المدافعة عن مدينة قسنطينة من كل أنحاء بايلك الشرق في المعارك من 7-11 أكتوبر 1837 رغم عدده وعدته<sup>1</sup>، ركز العدو الفرنسي على القصف بالمدفعية على أسوار المدينة وأبوابها: القنطرة<sup>2</sup>، الوادي<sup>3</sup>، والجابية<sup>4</sup>، الجديد<sup>5</sup>، وبيوتها الآهلة بالسكان العزل لإجبارهم على الاستسلام<sup>6</sup>، وخاصة التركيز على الأبواب في الجهة الغربية والجنوبية باب الوادي والجابية والباب الجديد بقيادة الجنرال فالي المتخصص في المدفعية<sup>7</sup>.

1- أحمد باي: المذكرات، تحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص69، عبد العزيز فيلاي: جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830-1850، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر 2012، ص88-96، أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص141-143، فندلين شلوصر: قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980، ص62

2 - فندلين شلوصر: المصدر السابق، ص62، 71، عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص96.

3 - فندلين شلوصر: المصدر السابق، ص62.

4 - فندلين شلوصر: المصدر نفسه، ص62.

5 - فندلين شلوصر: المصدر السابق، ص62، باب الجديد هو الاسم الذي أطلقه القسنطينيون على باب الرحبة منذ سنة 1836.

6 - Moritz wagner ,lettres sur l'expédition de constantine ,traduction de l'allemand de kercado molac 1838 ,P33 ،

فندلين شلوصر: المصدر السابق، ص62، عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص96.

7 - Moritz Wagner, lettres sur l'expédition de constantine ,p33 ،

Moritz Wagner,Reisen in der regentschaft Algier,in dem jahren1836,1837 und1838 von,Nebst einen Naturhistorischen Anhang und einem Kupferatlas,zweiter Band,Leipzig Verlag von Leopold voss 1841,p307

-أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص87، عبد العزيز فيلاي:

المرجع السابق، ص96

Ernest Mercier,les Deux Sièges de Constantine(1836-1837),Constantine imprimerie libraire 1896,p61

وأرسل الجنرال دام ريمون(Damrémont)<sup>1</sup> قائد قوات العدو الفرنسي في هذه الحملة مبعوثا خاصا إلى سكان المدينة يعرض عليهم الاستسلام، لكن أهل المدينة وحاميتها وشيوخها رفضوا طلب العدو، واقسموا في المساجد على أنهم سيظلون يدافعون عن أنفسهم ومدنيتهم وأموالهم وأولادهم حتى الموت<sup>2</sup>، وكتبوا يوم 12 أكتوبر 1837 الجواب التالي: " إذا كان النصارى في حاجة إلى البارود فنحن مستعدون لإمدادهم به، وإذا كانوا في حاجة إلى الطعام، فنحن على استعداد لاقتسام ما لدينا معهم، أما التسليم فهذا لن يكون أبدا حتى نهلك جميعا"<sup>3</sup>.

واصل العدو حصاره لمدينة قسنطينة مركزا على المدفعية خاصة من كدية عاتي حيث انتقلت قيادة أركانها لمعاينة بطاريات المدافع، وهنا يقتل الجنرال دام ريمون بقذيفة من مدفع علي البومباجي ثم الجنرال بيريجو(Perregaux)<sup>4</sup> برصاص القناصة الجزائريين وهو منحي يتفقد جثمان قائده ثم توفي بعد أيام<sup>5</sup>، عوض بالجنرال فالي<sup>6</sup>(Valee) ثم كان الهجوم الكبير على المدينة وملحمة يوم الجمعة 13 أكتوبر 1837 منذ الساعة

---

1- دامريمون: هو الكونت دونيس دامريمون(comte denis de Damrémont) ولد يوم 08 فيفري 1783م في شومون بالمارن الأعلى(haute Marne) بفرنسا، دخل المدرسة العسكرية فونتان بلو(Fontaine Bleu) في 16 ماي 1803م، تولى رتبة ضابط كبير في لواء الشرف(legion d'honneur) مند 1827م، قتل في مدينة قسنطينة يوم 12 أكتوبر 1837 بقذيفة مدفع اطلقها على البومباجي بأمر من الحاج أحمد باي، وكانت إصابته إصابة مباشرة في المعدة والصدر توفي على التو ينظر:

E.watbled, cirta, Constantine expédition et prise de Constantine (1836-1837) d'après les documents laissé par Berburgger, mobilière et latour du pin in R A ,T15, p13

2 - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 96-97.

3 - فندلين شلوصر: المصدر السابق، ص 62، أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص 87، عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 97 Ernest Mercier,les Deux Sièges de Constantine(1836-1837),p62

E.watbled ,op,cit, in R A ,T15, ,p 11,

4 - بيريجو: هو الكسندر شارل بيريجو(Alexandre Charles Perrégaux) ولد يوم 21 أكتوبر 1791 في نوفوشاتل(Neufchatel) بسويسرا من أصل فرنسي، تولى منصب ملازم(sous lieutenant) سنة 1807م ثم ماريشال مند 1834 (Marechal de camp) ينظر E.watbled ,op cit,p13

5 - moritz wagner, lettres sur l'expédition de constantine ,p117, Moritz Wagner,Reisen in der regentschaft Algier,in dem jahren1836,1837 und1838,p309-310

- فندلين شلوصر: المصدر السابق، ص 62، أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص 87، عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 97

E.watbled , ,op cit,p13 ,p64 Ernest Mercier,les Deux Sieges de Constantine(1836-1837)

6 - الجنرال فالي: هو سيلفيان شارل فالي ولد يوم 17 ديسمبر 1773م في بريان شاتو أوب بفرنسا درس في مدرسة شالون للمدفعية سنة 1792م، كان اقدر قادة المدفعية في أوروبا، شارك بنجاح في أزيد من أربعين عملية حصار في صفوف الجيوش النابليونية، ينظر فرانسوا ماسبيرو: المرجع السابق، ص 110-111،

moritz wagner, lettres sur l'expédition de constantine, p132-134, E.watbled ,op cit,p13

السابعة صباحا، حيث كانت المقاومة شارعا شارعا وبيتا بيتا<sup>1</sup>.

وبعد سقوط المدينة والمقاومة الشرسة اندفع الناس نساء ورجال وأطفال نحو المنحدرات ولاسيما منحدر الطابية، فارين من جنود العدو، مستعملين الحبال للنزول إلى وادي الرمال عبر الجروف، مخاطرين بأنفسهم، على أن يقعوا أسرى في أيدي العدو فتمزقت الحبال لكثرة من تعلقوا بها، فسقط العديد منهم ضحايا الهاوية، فتراكمت العديد من الجثث والأشلاء في خوانق واد الرمال، ووصلوا إلى أعماقه موتى أو بأعضاء مكسرة وانتهى هناك ما يزيد عن خمسمائة شخص<sup>2</sup>

ووصف ذلك فندلين شلوصر (الذي كان مملوك الباي أحمد وكان بومباجي) بقوله: "وأراد الناس جميعا أن يسلكوا هذا الممر دفعة واحدة، ولقلة الحذر سقط الواحد منهم بعد الآخر في هوة عمقها ستمائة قدم، فشوه بعضهم وقتل بعضهم الآخر، وأسرعت من السراي مجموعة من محظيات الباي إلى هذه المنطقة ورمينا أنفسهن طواعية حتى لا يقعن في أيدي المسيحيين"<sup>3</sup>.

وقد تابع الجيش الفرنسي من كدية سيدي عاتي ومن سطح المنصورة ومن القصبة هؤلاء الفارين، عبر المنحدرات الصعبة فاعتقدوا أن بالأمر خدعة حربية وتكتيكا عسكريا، فأرسلوا طابورا من الخيالة إلى جهة وادي الرمال، للانقضاض عليهم وقتلهم، فاتوا على من نجا من السقوط، فزاد عدد الضحايا في الوقت الذي انتهت فيه حالة الحرب<sup>4</sup>

وذكر موريتس فاغر قصة مثيرة فحواها: "وفوق ناتئة منها جلست امرأة كسرت رجلها وبخصنها طفل في الرابعة من عمره، لم يصب بأي أدى، رفضت أن تستلم أي مساعدة من المسيحيين وأعربت عن رغبتها في أن تموت هناك هي وطفلها واكتفت بطلب جرة ماء"<sup>5</sup>.

1 - أحمد باي: المصدر السابق، ص72-73، عبد الكريم بجاجة: معركة قسنطينة 1836-1837، ترجمة السعيد بوكزازة، فتيحة شرقي، حلقة 3، جريدة النصر اليومية، 18 أبريل 1983، ص10-12

Moritz wagner, lettres sur l'expédition de constantine, p30

أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص87، عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص97، أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص143، فرانسوا مسبيرو: سانت آرنو أو الشرف الضائع، ترجمة مسعود حاج مسعود، مراجعة أحمد بكلي، دار القصبة للنشر الجزائر 2007، ص110-111.

2 - أحمد باي: المصدر السابق، ص74، فندلين شلوصر: المصدر السابق، ص63-64، أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص88-89، عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص105، عبد الكريم بجاجة: المرجع السابق، ص11.

3- فندلين شلوصر: المصدر السابق، ص64.

4 - أحمد باي: المصدر السابق، ص74، أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص89، عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص106، عبد الكريم بجاجة: المرجع السابق، ص11.

5 - أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص89.

وجاء في مقال للباحث واتبلد(E, watbled) من خلال وثائق تركها بير بيرغر(Berburger) رئيس اللجنة العلمية خلال الحملة العسكرية الفرنسية الثانية على قسنطينة أن فصيلة من الفيلق الإفريقي الثاني مرت على الأموات والميتات ودفع الكل إلى الأمام بالحرب، وهذا يوضح مدى القتل في هذا الهجوم من المدنيين خاصة<sup>1</sup>

وكانت الأيام الموالية لسقوط المدينة كثيبة والحياة فيها تبدو مكدرّة وحزينة فاليهود يتجولون غير أزقتها زرافات ووحدانا، ثم بدأت عملية النهب والاعتصاب من طرف قوات العدو وبالتالي قتل من يدافع عن ممتلكاته وشرفه، واستمرت هذه الأعمال ثلاثة أيام كاملة بصفة مطلقة، وحتى بعد انسحاب فيالق الجيش الفرنسي وترك حامية تتكون من 3000 جندي<sup>2</sup>.

ذكر فرانسوا مسبيرو مؤلف كتاب سانت أرنو أو الشرف الضائع (l'honneur de SaintArnaud) في مقدمة الكتاب أن سانت أرنو ساهم في ثلاث حملات كبرى لإبادة الشعوب تقتيل جماعي للشعب الجزائري أثناء فترة الاحتلال، وحملة قمع الجمهورية الثانية، وحملة حرب اليونان سنة 1821 من أجل فصله عن الدولة العثمانية<sup>3</sup>، أورد قوله: "لن أتوسع أكثر في وصف مشاهد النهب والفوضى العارمة التي دامت ثلاثة أيام، فلنلق عليها دثار النسيان كي لا نشوه صورة أجدادنا وذكرانا"<sup>4</sup>.

وأضاف تم تجنيد اليهود قسرا للقيام بأعمال تنظيف المدينة وجمع الجثث وإلقائها في حفرة كبيرة تجاوز عدد القتلى جميع التوقعات، بحيث لم تسعفهم الحفرة جميعا<sup>5</sup>.

ومن خلال تتبع عدد سكان مدينة قسنطينة في القديم نجد أنها مدينة كبيرة ومزدهرة قادرة على تجهيز 20 ألف مقاتل من المشاة و10 آلاف من الفرسان وفي فترة الاستدمار الوندالي كان سكانها 30 ألف نسمة وقادرة على إعداد 8000 شخص قادر على حمل السلاح<sup>6</sup>، وفي العصر الوسيط<sup>7</sup> وفي العهد العثماني<sup>8</sup>، وذكر موريتس فاعنر

1 - E. watbled, circa, op cit, in R A, T15, p 21, .

2 - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 106-109.

3 - فرانسوا مسبيرو: المرجع السابق، ص 125.

4 - فرانسوا مسبيرو: المرجع نفسه، ص 115.

5 - فرانسوا مسبيرو: المرجع نفسه، ص 115.

6 - Moritz wagner, lettres sur l'expédition de constantine, traduction de l'allemand de kercado molac 1838, p9-8

7 - محمد قويسم: مدينة قسنطينة دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية وثقافية، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، إشراف ا.د عبد العزيز فيلاي، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر -بوزريعة 2015، ص 129.

8 - عبد القادر دحدوح: مدينة قسنطينة في العهد العثماني دراسة أثرية، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، إشراف ا.د عبد العزيز بلعرج، قسم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر -بوزريعة 2013،

فاعتر الألماني أنه كان يدافع عن مدينة قسنطينة 6000 شخص، وبالطبع داخل المدينة<sup>1</sup>، وذكر أيضا أن آلاف العائلات رحلت إلى رمال الصحراء، والفتح العربي 10 آلاف موري نصف متمدينين<sup>2</sup>، يعرف مدى المجازر التي ارتكبتها الفرنسيون في مدينة قسنطينة.

وذكر عبد الكريم بجاجة رحمه الله مدير الوثائق لمدينة قسنطينة أن عدد سكان مدينة قسنطينة كان سنة 1836 يقدر بأكثر من 30 ألف نسمة وفي سنة 1843 قدر بـ 18 ألف نسمة فقط، ومهما كان عدد المهاجرين من المدينة فالشهداء كانوا بالآلاف بالقصف المدفعي خاصة ودفنوا في حفرتين كبيرتين<sup>3</sup>.

خاتمة:

خلاصة القول أن غزو الاستدمار الفرنسي واحتلاله لمدينة قسنطينة يوم الجمعة 13 أكتوبر 1837 سبقته مجازر فضيعة في حق المدنيين العزل بالمدفعية، ولحقت الاحتلال مجازر أخرى رفض سانت ارنو ذكرها حتى لا تشوه صورة أجداد فرنسا وذكرها هو والمجرمين الآخرين مثله.

حاول الاستدمار الذي ضحوا من أجله أن يخلدهم في أسماء قرى جزائرية الأرض هي: بيرغوغو (التوميات) قرب الحروش، دامريمون (حمودي كرومة)، فالي (حمودي حمروش) قرب مدينة سكيكدة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

- 1- أحمد باي: المذكرات، تحقيق محمد العربي الزيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.
- 2- فندلين شلوفر: قسنطينة أيام احمد باي 1832-1837، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980.

3 - Moritz wagner ,lettres sur l'expédition de constantine ,traduction de l'allemand de kercado molac 1838.

4 - Moritz Wagner,Reisen in der regentschaft Algier,in dem jahren 1836,1837 und 1838 von,Nebst einen Naturhistorischen Anhang und einem Kupferatlas,zweiter Band,Leipzig Verlag von Leopold voss 1841.

1 - Moritz wagner, lettres sur l'expédition de constantine, p 77

2 - Moritz wagner, lettres sur l'expédition de constantine, p 86-87

3 - عبد الكريم بجاجة: المرجع السابق، ص 12.

ثانيا / المراجع:

- 1- فرانسوا مسبيرو: سانت آرنو أو الشرف الضائع، ترجمة مسعود حاج مسعود،مراجعة أحمد بكلي، دار القصة للنشر الجزائر 2007.
- 2- عبد العزيز فيلاي: جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830-1850، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر 2012.
- 3- أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
- 4- أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989.
- 5 - Ernest Mercier, les Deux Sièges de Constantine(1836-1837),Constantine imprimerie libraire 1896.
- 6- محمد قويسم: مدينة قسنطينة دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية وثقافية، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، إشراف ا.د عبد العزيز فيلاي، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر - بوزريعة، 2015.
- 7- عبد الكريم بجاجة: معركة قسنطينة 1836-1837، ترجمة السعيد بوكرازة، فتيحة شرقي، حلقة 1-3، جريدة النصر اليومية، 16-18 أفريل 1983، ص 9-12
- 8 - E.watbled ,cirta,constantine expédition et prise de constantine(1836-1837) d'après les documents laissé par Berburger ,mobilliere et latour du pin in R A ,T14, ,p 319, T15.